

## دروس من مجموعة المواجهة (2)

### مستويات التعرّف: والكلام لتغطية الألام الأعمق

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD24613.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

[mokattampsy2002@hotmail.com](mailto:mokattampsy2002@hotmail.com) - [rakhawy@rakhawy.org](mailto:rakhawy@rakhawy.org)

نشرة "الإنسان والتطور" 2013/06/24

السنة السادسة - العدد: 2124



### مقدمة:

الذين يندعون في طبيعة العلاج ويحسبونه كلاما غالبا، أو أساسا، لا يتصورون أن بعض المترددين عليه، بل المنتظمين فيه يدركون سطحية ما يجرى إذا كان مسطحا (وكثيرا ما يكون كذلك).

### مستويات الوعي بين التفريغ والتعليل

قلنا من البداية أن العلاج النفسي ليس هو العلاج بالكلام، وإن كان الكلام من أهم وسائله. في هذه النشرة اليوم سوف نتناول تقييم مستوى ومحتوى الكلام، وخاصة ما شاع عن العلاج النفسي، بل وبالذات عن التحليل النفسي. هذه



الإشكالية شارك في إثارتها ما شاع عن التحليل النفسي بوجه خاص، وهي تتعلق باختزال العلاج النفسي إلى: (1) الترييح، (2) التفريغ، (3) التركيز على البحث عن السبب وخصوصا في الطفولة.

وهذا ما دعانا باستمرار إلى التحذير من حكاية "أطلع اللي جوايا" لأن ما وراء هذا "اللي

جوه" ما هو "جواني" أكثر وأهم، يتجلى في العلاج الجمعي طبقة وراء طبقة بالتدرج.

وحين قمصت هذه الحالة تصورت داخل داخلها وهو ينقد ما يجرى ويكاد "يأخذ الطبيب (أو

القائد) على قدر عقله"، ثم يحتج عليه داخل نفسه بمنتهى القسوة هذا هو الأغلب في ما يسمى التحليل

النفسي خاصة المسطح منه، لكنه قد يحدث أيضا في العلاج الجمعي.

قلت على لسان هذا الصديق:

طَيَّب...! طَيَّب!، واحدة واحدة.

أنا حافل أع أهة:

أدى صورتى يا سيدى: شَرْمَطْطُها،

وإدى قصّة حب،

وإدى عقدة نقص، وكسرة قلب.

أهو كلّه كلام

المتن هنا هو على لسان داخل أحدهم تصورت أنه قد بلغت بصيرته الناقدة عمقا قاسيا وهو

الذين يندعون فك طبيعة العلاج ويحسبونه كلاما غالبا، أو أساسا، لا يتصورون أن بعض المترددين عليه، بل المنتظمين فيه يدركون سطحية ما يجرى إذا كان مسطحا (وكثيرا ما يكون كذلك).

العلاج النفسي ليس هو العلاج بالكلام، وإن كان الكلام من أهم وسائله

هذا ما دعانا باستمرار إلى التحذير من حكاية "أطلع اللي جوايا" لأن ما وراء هذا "اللي جوه" ما هو "جوانك" أكثر وأهم، يتجلى فك العلاج الجمعي طبقة وراء طبقة بالتدرج

إن هناك احتمالا أن كل (أو أغلب) ما يحكيه ليس إلا القشرة الظاهرة لها

يعيشه أو يعانیه أو يتذكره

يعلنها هكذا :

• إن هناك احتمالا أن كل (أو أغلب) ما يحكيه ليس إلا القشرة الظاهرة لما

يعيشه أو يعانیه أو يتذكره،

• وأنه هو الساخر الكاشف المخترق، قد يحجب، بإرادة ما، ليست بالضرورة

واعية، حقيقة داخل داخله،

• وأنه "بصراحة" ، في مستوى ما من وجوده، لا يستأمن أحد عليها، ولا قائد

الجماعة (هذا إذا وصل هو إلى معرفتها أصلا).

معنى ذلك أن الكلام الظاهر قد يكون أبعد ما يكون:

○ عن الكلام الكامن،

○ ثم عن التركيب الغائر،

○ ثم عن الحقيقة.

وسواء كان الشخص يعرف أنه لا يكشف عن "كل طبقات ذاته"، أولا يعرف، فإنه في كثير من

الأحيان، يكون كل (أو أغلب) ما يحكيه ليس إلا:

✓ تصوره عن أسباب مرضه،

✓ أو العوامل الظاهرة التي أدت لظهوره،

✓ أو التي هيأت لظهوره،

على الطبيب إذن ألا يُستدرج للاستسلام لهذه القشرة الكلامية، ناهيك عن الفرحة بها، لأنها قد

تكون في كثير من الأحيان تبريرية أكثر منها تعليلية،

كثيرا ما يثبت أنه ليس المهم هو أن الشخص قد حرم من الحنان أو أنكر الاعتراف بوجوده في

طفولته، بقدر ما هو مهم النظر في التركيب الذي ألت إليه مجموع ذواته ومستويات وعيه، وهي ما

يمثله هذا الكيان الإنساني الفرد المائل "الآن" أمامنا للتفاعل والحوار على مختلف المستويات.

.....

واضح من سخرية بصيرة هذا الشخص (كما أتقصمه) (المتن) أن تركيز الطبيب (المعالج) على

محتوى ما يقوله المريض، وظاهر ما يحكى، إنما يبعد الطبيب عن صلب القضية

نسمع هذا الناقد الساخر وهو يكمل:

أدى صورتي يا سيدي،....، شَرَّ مَطْطُهَا،

وإدى قصّة حبّ، وعقدة نقص، وكسرة قلب.

ثم هو يلحق ذلك فوراً بإيجاز رأيه، وإعلان أن مثل هذا الطبيب الذي استدرج إلى هذه

المنطقة التبريرية التفسيرية التعليلية، هو أبعد ما يكون عن حقيقة أعماقه وطبيعة تشكيله:

عودة إلى المتن:

أنا قالع مَطْطُ،

لكنى مش عريان.

هوّا انا مهبول؟

أديك نفسى لحمة طرية؟

على إيه؟

الكلام الظاهر قد يكون أبعد ما يكون: ○ عن الكلام الكامن، ○ ثم عن التركيب الغائر، ○ ثم عن الحقيقة. وسواء كان الشخص يعرف أنه لا يكشف عن "كل طبقات ذاته"، أولا يعرف، فإنه قد كثير من الأحيان، يكون كل (أو أغلب) ما يحكيه ليس إلا:

□ تصوره عن

أسباب مرضه،

□ أو العوامل

الظاهرة التي أدت

لظهوره،

□ أو التي هيأت

لظهوره

كثيرا ما يثبت أنه ليس المهم هو أن الشخص قد حرم من الحنان أو أنكر الاعتراف بوجوده في طفولته، بقدر ما هو مهم النظر في التركيب الذي ألت إليه مجموع ذواته ومستويات وعيه، وهي ما يمثله هذا الكيان

## الإنسانك الفود الهائل "الآن" أمامنا للتفاعل والحوار على مختلف المستويات

التفاصيل السطحية التي  
قد تملأ جلسات التحليل  
النفسي (وكثير من  
العلاج النفسي) قد لا  
تمثل سوى مظاهر  
جزئية لمشكلة الوجود  
الأعمق، فقد تكون إعلانا  
للوحدة القاسية البشعة  
التي اكتشفها الشخص  
بلا حل

كثيرا من هذه  
المكاووك التي تقال  
فد كل أنواع العلاج  
النفسي قد لا تكون إلا  
مجرد تفرغ كلامي،  
قد يخفف الضغط عن  
الجزء الأعلى من  
الشخصية ولكنه لا  
يغوص إلى جوهر  
مشكلة الوجود

قد يكون ما يعيشه  
ويعايشه من مشاعر  
ووجدان أكثر إيلاما  
وعمقا من أن يعلن أصلا،

إحاطة الوعي الشعبي  
بحقيقة أن النصح، والحفز،  
والتوجيه لمن لا يعيش

لو أننا تعمقنا الموقف كما تدعونا هذه البصيرة الساخرة هكذا، إذن لرأينا أن التفاصيل السطحية التي قد تملأ جلسات التحليل النفسي (وكثير من العلاج النفسي) قد لا تمثل سوى مظاهر جزئية لمشكلة الوجود الأعمق، فقد تكون إعلانا للوحدة القاسية البشعة التي اكتشفها الشخص بلا حل، وعلى لسان هذا الجزء تصبح صورة المريض التي في متناول العلاج ليست هي حقيقته وإنما غطاؤه،

هذا الشخص هنا هو الذي يتفرج - من داخل داخله - على القائد وهو يحاول أن يفسر ويؤول، أو حتى وهو (المعالج) يحاول أن يعيد تشكيل تركيب مريضه وذاته، من هذه المعلومات المتاحة بلا عمق أو جدوى، (لأنها ليست هي)

الطبيب على هذا المستوى السطحي لا يستطيع أن يمارس التشكيل النقدي العلاجي الذي يمكنه من أن يصيغ منه "الفرض" الأصلح.

المتن ينبهنا إلى أن كثيرا من هذه الحكاوي التي تقال في كل أنواع العلاج النفسي قد لا تكون إلا مجرد تفرغ كلامي، قد يخفف الضغط عن الجزء الأعلى من الشخصية ولكنه لا يغوص إلى جوهر مشكلة الوجود.

قد يلتقط الشخص هذا الموقف بحدسه، أو بذكائه، أو بكليهما فيصبح الموقف أكثر إيلاما له، وينطلق حكمه على ما يجري أكثر سخرية وقسوة كما سيأتي في المتن حالا:

- ✓ ثم إنه كثيرا ما يصعب عليه أن يصف ما يشعر به (يحس بيه)،
- ✓ أو قد يكون ما يعيشه ويعايشه من مشاعر ووجدان أكثر إيلاما وعمقا من أن يعلن أصلا،

✓ وأحيانا ينقلب الشخص أكثر استهانة بجدوى أن يغوص أكثر ليعلن ما يحس به  
تبينت أبعاد هذا الموقف وكيف يصل إلى المشاركين من خلال حماس زملائي المبتدئين المتدربين معي أثناء العلاج الجمعي خاصة، وأورد بعض ذلك كما يلي:

يدعو أحد المتدربين المريض في موقف معين أن "يحس بمشاعر معينة" (الخوف مثلا) بدلا من أن يحكي عنها، أو أن "يشعر بالتعاطف" مع زميل آخر يكون قد تعرى أو تألم أو أعلن ضعفه أو احتياجه في بعض مقاطع التفاعل في المجموعة، كنت ساعتها انظر للزميل المتدرب وهو يصر على أن المريض إن لم يكشف عن مشاعره لحظتها بدرجة مناسبة، أو إن لم يشارك زميله بالعمق الكافي، فهو "لا يحس"، لدرجة اتهامه أحيانا بالبلادة، كنت أنظر إليه بما معناه "وأنت، هل لاحظت تعاطفك؟ مع من؟ وإلى أي درجة؟ وكيف يمكنك أن تظهره"، وقد يتمادى المتدرب (أو المعالج المنفصل) في تحفيز المريض "أن يحس" بالجاري، أو بما به، ضاربا بنفسه - دون بصيرة كافية- القدوة، فقد يقول للمريض بشكل مباشر أو غير مباشر: "حس زي ما انا باحس"،

وهنا يحضرنى مثل مصري عامي مهم يقول على لسان من يُجدد عددا معيناً من الجلادات "اللي بينجد غير اللي بيعد"،

ومثل آخر أقل انطباقا لكنه أكثر شيوعا يقول "اللي إيده في المية غير اللي إيده في النار"، وأغنية أقل فأقل وهي التي تقول "عوام ياللي على شط الهوا عوام"، كل ذلك يشير إلى إحاطة الوعي الشعبي بحقيقة أن النصح، والحفز، والتوجيه لمن لا يعيش التجربة بحقيقة أبعادها، أي لمن يرصدها من على مسافة، هو بلا جدوى من ناحية، وأيضا هو يشعر

المريض ببعد المعالج عنه من ناحية أخرى.

أحيانا يطلب الطبيب الأصغر من المريض أن يوقظ إحساسه ليخترق اللامبالاة التي تورط فيها هربا من آلامه، والمتدرب لا يدرى حجم عبء ما يطلبه من المريض ولا خطورته فكأنه يطلب تفجير ذرة كامنة وقد أحيطت بجدار اللامبالاة الواقية.

هذا ليس اتهاماً للمعالج الأصغر بل هو تنبيه ضمنى على بعض مسار التدريب. وهو تنبيه مهم حتى لا يتصور المعالج المبتدئ، والمعالج عموماً، أنه هو صاحب الإحساس الحى النقى، وأن المريض هو وحده فاقد الإحساس وأن عليه (على المريض) أن يتشبه به ويتفاعله حتى يكون سوياً حاضراً.

فشتان بين إحساس إنسان اختبأت مشاعره رعباً، وبين إحساس شاب فى أول طريقه وهو يكتشف طبقات مشاعره مع اكتشاف طبقات وعيه تدريجياً دون تهديد بالتفسخ أو المواجهة. المتن هنا ينبهنا إلى أن مثل هذا المريض، يعلمنا ساخراً أنه لن يكشف داخله إلا لمن يتق فيه بالقدر الذى يسمح له بمثل هذا الكشف.

وتبلغ السخرية مداها حين يقول داخله أن آكلة لحوم البشر هم أكثر رحمة من هذا الذى لا يراه ويطلب منه أن يعيش إحساسه الأعماق، وهو "ليس هنا"!!

الناس الشرفا فى الغابة أنبل منكم.

ياكلوها علناً بشجاعة من غير تبرير.

ولا ييجى واحد منهم بيه،

يسأل بالعلم المتمكّن: بِتَحْسِ بِيَاهِ؟

ويقلّب سبى،

ويقول لى حِسْ:

بالنار من تحتك.

كما إنى باحس:

بحلاوة ريحتك.

#### الخلاصة:

كل هذا يشير فى نهاية النهاية، وبرغم قسوة سخرية المتن،

أن الثقة بين المريض وبين الطبيب أو المعالج، هى المعبر الوحيد الذى يسمح بالتواصل فالكشف، وأن ما يعانیه المريض حتى لو أخفاه باللامبالاة الظاهرة، قد يكون أكثر إيلاماً وإرعاباً من كل ظاهر، فكل ظاهر ما وراءه، وما تحته وما يخفيه.

#### وحدة الدراسة والبحث فى الإنسان والتطور

" قراءة النص البشرى من منظور تطوري انطلاقاً مما إدراك أ. د. يحيى الرخاوي"

الإصدار الفطلي لنشرة " الإنسان والتطور " ( حسب المحاور )

خريف / شتاء 2012/2013

" فى تجليات ماهو موت "

بروفيسور يحيى الرخاوي

مستند اكروبات

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter13.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter13.pdf)

التجربة بحقيقة أبعادها،  
أكد لمن يرصدها من  
على مسافة، هو بلا  
جدوك من ناحية، وأيضاً  
هو يشعر المريض ببعد  
المعالج عنه من ناحية  
أخرى

فشتان بين إحساس إنسان  
اختبأت مشاعره رعباً،  
وبين إحساس شاب فك  
أول طريقه وهو يكتشف  
طبقات مشاعره مع  
اكتشاف طبقات وعيه  
تدريجياً دون تهديد  
بالتفسخ أو المواجهة

الثقة بين المريض وبين  
الطبيب أو المعالج، هى  
المعبر الوحيد الذى  
يسمح بالتواصل  
فالكشف، وأن ما  
يعانیه المريض حتى لو  
أخفاه باللامبالاة الظاهرة،  
قد يكون أكثر إيلاماً  
وإرعاباً من كل ظاهر،  
فكل ظاهر ما وراءه،  
وما تحته وما يخفيه.